

البداية والنهاية

بها قوما ليسوا بها كافرين ويشير إلى أحمد بن حنبل وأصحابه قال بعضهم رأيت في المنام كأن قائلا يقول هلك الليلة أحمد بن أبي دؤاد فقلت له وما سبب هلاكه فقال إنه أغضب الله عليه فغضب عليه من فوق سبع سموات وقال غيره رأيت ليلة مات ابن أبي دؤاد كأن النار زفرت زفرة عظيمة فخرج منها لهب فقلت ما هذا فقليل هذا أنجزت لابن أبي دؤاد .

وقد كان هلاكه في يوم السبت لسبع بقين من المحرم من هذه السنة وصلى عليه ابنه العباس ودفن في داره ببغداد وعمره يومئذ ثمانون سنة وابتلاه الله بفالج قبل موته بأربع سنين حتى بقي طريحا في فراشه لا يستطيع أن يحرك شيئا من جسده وحرمة لذة الطعام والشراب والنكاح وغير ذلك .

وقد دخل عليه بعضهم فقال والله ما جئتك عائدا وإنما جئتك لأعزيك في نفسك وأحمد الله الذي سجنك في جسدك الذي هو أشد عليك عقوبة من سجن ثم خرج من عنه داعيا عليه بأن يزيد الله ولا ينقصه مما هو فيه فازداد مرضا إلى مرضه وقد صدر في العام الماضي بأموال جزيه جدا ولو كان يحمل العقوبة لوضعها عليه المتوكل قال ابن خلكان كان مولده في سنة ستين ومائة قلت فعلى هذا يكون أسن من أحمد بن حنبل ومن يحيى بن أكثم الذي ذكر ابن خلكان أن ابن أكثم كان سبب اتصال ابن أبي دؤاد بالخليفة المأمون فحظي عنده بحيث إنه أوصى به إلى أخيه المعتمد فولاه المعتمد القضاء والمظالم وكان ابن الزيات الوزير يبغضه وجرت بينهما منافسات وهجو وقد كان لا يقطع أمرا بدونه وعزل ابن أكثم عن القضاء وولاه مكانه وهذه المحنة التي هي أس ما بعدها من المحن والفتنة التي فتحت على الناس باب الفتن .

ثم ذكر ابن خلكان ما ضرب به الفالج وما صدر به من المال وأن ابنه أبا الوليد محمد صدر بألف ألف دينار ومائتي ألف دينار وأنه مات قبل أبيه بشهر وأما ابن عساكر فانه بسط القول في ترجمته وشرحها جيدا وقد كان أديبا فصيحاً كريماً جواداً ممدحاً يؤثر العطاء على المنع والتفرقة على الجمع وقد روى ابن عساكر بأسناده أنه جلس يوما مع أصحابه ينتظرون خروج الواصل فقال ابن أبي دؤاد إنه ليعجبني هذان البيتان .

... ولي نظرة لو كان يحبل ناظر ... بنظرته أنثى لقد حبلت مني ... فإن ولدت ما بين تسعة أشهر ... إلى ابنا فإن ابنها مني

ممن توفي فيها من الأعيان أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي أحد الفقهاء والمشاهير قال الامام أحمد هو عندنا في مسلاخ الثوري وخليفة بن خياط أحد أئمة التاريخ وسويد بن سعد الحدثاني وسويد بن نصر وعبد السلام بن سعيد الملقب بسحنون أحد فقهاء المالكية المشهورين

وعبدالواحد ابن غياث وقتيبة بن سعد شيخ الأئمة والسنة وأبو العميثل عبد الله بن خالد كاتب
عبد الله بن